نزول المطر في كتب التفسير
بين الثابت والمتغير

أ.م. د. عماد أكرم كردي

كلية الامام الاعظم(رحمه الله) الجامعة

The rain in the books of interpretation
Between fixed and variable
Mother. Dr.. Emad Akram Kurdi
Faculty of Imam Al - Azhar University

ملخص البحث

إن أسباب نزول المطر صارت معروفة للقاصي والداني اليوم، فلم هذه العودة إلى كتب التفسير، والمفسرون (رحمهم الله) قالوا ما قالوه متأثرين بضعف الإمكانات العلمية آنذاك، وتعذر معرفة حقيقة الأسباب الحقيقة لكيفية نزول المطر.والجواب عن هذا من وجوه:

الأول: إن عدداً لا يستهان به الباحثين ومن طلبة الدراسات العليا ما زالوا يعتمدون ما ورد في هذه الكتب ويرجحونه على غيره من الأقوال، فإن كنا نلتمس للمتقدمين العذر، فما هو عذر المحدثين؟

الثاني: ما يرتبط بموضوع هذا البحث، وهو أن أقوال المفسرين فيها الثابت الذي لا خلاف فيه، وفيها المتحول الذي تأثر بالزمان والمكان، وأن وضع الحدود الواضحة بين الثابت والمتحول مطلب مهم من أجل تطوير الدراسات الشرعية على العموم، والدراسات المتعلقة بالتفسير على وجه الخصوص.

الثالث: إن انتشار مثل هذه الأقوال المنسوبة إلى كتب التفسير ستكون مدعاة للطاعنين في الإسلام بتوجيه سهام حقدهم، ونسبت هذه الأقوال إلى القرآن الكريم، أو إلى الإسلام.

الرابع: بيان المرونة الكبيرة التي اتصف بها علم التفسير، وأن تفسير الظواهر الطبيعية في القرآن الكريم أو الكشف عن وجوه الإعجاز العلمي فيه لا يخضع بالضرورة لنظرية سائدة أو لفكرة شائعة. واقتضى هذا البحث مراجعة دقيقة لتفسير ظاهرة نزول المطر في أمات كتب التفسير، ومقابلتها مع النظريات العلمية الحديثة، والكشف عن الحدود الفاصلة بين الثابت والمتغير.

Research Summary

The reasons for the descent of the rain became known to everyone today, this did not return to the books of interpretation, and exegetes (may Allaah) said what they said succumbed to the weakness of scientific capabilities at the time, and could not know the truth of the reasons the truth of how rain is falling.The answer to this is:First: A significant number of researchers and graduate students still depend on what is stated in these books and Arjehouna on other words, if we seek to excuse applicants, what is the excuse modernists؟Second: What is related to the subject of this research is that the words of the commentators in which fixed that no disagreement, and where the variable that has been affected by time and place, and that a clear boundary between the fixed and variable setting an important requirement for the development of legal studies on the whole, and studies of interpretation in particular.Third: The spread of such statements attributed to the books of interpretation would be a cause of Islam to sticker in the direction arrows of hatred, and attributed these statements to the Koran, or to Islam.Fourth:

Statement of the great flexibility which was characterized by the science of interpretation, and that interpretation of natural phenomena in the Qur'an or object detection in which scientific miracles are not necessarily prevalent theory or the idea of a common subject.This research required an accurate review of the explanation of the phenomenon of rain in the books of interpretation, and corresponding with modern scientific theories, and the disclosure of the boundaries between fixed and variable.

المقدمة

الحمد لله الذي خلق الإنسان، ونزل الفرقان، فيه آيات محكمات هن أم الكتاب، وأخر متشابهات هي رموز الخطاب، والصلاة والسلام على سيد ولد عدنان وقحطان، محمد ﷺ، وعلى من أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وعلى من آزرهم وكان لهم نصيرا.**أما بعد:** فإن علم التفسير من أشرف العلوم وأسماها؛ لاختصاصه بتفسير كلام الله العزيز الحميد، وتعرضت كتب التفسير لتفسير كثير من الظواهر الطبيعية الواردة في القرآن الكريم، ومن هذه الظواهر ظاهرة نزول المطر، فقد كان نزوله مثار دهشة حارت فيه العقول، وعجز عن إدراك كنهه كثير من الفحول، وراح كلٌّ يدلي بدلوه، في محاولة للوقوف على حقيقة نزول المطر، وكيفيته، واشتملت كتب التفسير على آراء كثيرة، بينها آراء استدلت ببعض الأحاديث والآثار والأخبار الخاصة بتفسير الآيات، وبغض النظر عن صحة هذه الأخبار؛ فإن وجودها فضلاً عن الآراء التي بنيت عليها يضفي عليه بعض القدسية، إذ يعدّها بعضهم تأويلاً للقرآن بغض النظر عن صحتها.ولا يخفى أن كثيراً من هذه الأخبار كان متأثراً بالإسرائيليات، أو بآراء بعض المفسرين وثقافاتهم، فجاء تفسيرها بعيداً كل البعد عمَّا عرف من حقائق علمية، أو متعارضاً مع بعض المكتشفات الحديثة.ولقائل يقول: إن أسباب نزول المطر صارت معروفة للقاصي والداني اليوم، فلم هذه العودة إلى كتب التفسير، والمفسرون (رحمهم الله) قالوا ما قالوه متأثرين بضعف الإمكانات العلمية آنذاك، وتعذر معرفة حقيقة الأسباب الحقيقة لكيفية نزول المطر.والجواب عن هذا من وجوه:الأول: إن عدداً لا يستهان به من الباحثين ومن طلبة الدراسات العليا ما زالوا يعتمدون ما ورد في هذه الكتب ويرجحونه على غيره من الأقوال، فإن كنا نلتمس للمتقدمين العذر، فما هو عذر المحدثين؟الثاني: ما يرتبط بموضوع هذا البحث، وهو أن أقوال المفسرين فيها الثابت الذي لا خلاف فيه، وفيها المتحول الذي تأثر بالزمان والمكان، وأن وضع الحدود الواضحة بين الثابت والمتحول مطلب مهم من أجل تطوير الدراسات الشرعية على العموم، والدراسات المتعلقة بالتفسير على وجه الخصوص.الثالث: إن انتشار

مثل هذه الأقوال المنسوبة إلى كتب التفسير ستكون مدعاة للطاعنين في الإسلام بتوجيه سهام حقدهم، ونسبت هذه الأقوال إلى القرآن الكريم، أو إلى الإسلام.الرابع: بيان المرونة الكبيرة التي اتصف بها علم التفسير، وأن تفسير الظواهر الطبيعية في القرآن الكريم أو الكشف عن وجوه الإعجاز العلمي فيه لا يخضع بالضرورة لنظرية سائدة أو لفكرة شائعة. واقتضى هذا البحث مراجعة دقيقة لتفسير ظاهرة نزول المطر في أمات كتب التفسير، ومقابلتها مع النظريات العلمية الحديثة، والكشف عن الحدود الفاصلة بين الثابت والمتغير.وقد اشتمل هذا البحث على مقدمة، وثلاثة مباحث:خصصت المبحث الأول لدارسة أقوال المفسرين في تفسير كيفية سقوط المطر، والمقابلة مع ما جاء في العلم الحديث.وخصصت المبحث الثاني لدراسة أقوال المفسرين في تفسير كيفية سقوط البرد، والمقابلة مع ما جاء في العلم الحديث.وخصصت المبحث الثالث أقوال المفسرين في تفسير كيفية سوق السحاب، والمقابلة مع ما جاء في العلم الحديث.ثم خاتمة البحث التي اشتملت على أهم النتائج والتوصيات.وبعد هذا أقول: ما أصبت فيه في كل منعطف وموضوع في البحث فإنه من توفيق الله وفضله وإحسانه وإنعامه عليّ، وأما ما أخطأت فيه فإنه من تقصيري ومن زلة قلمي.والله من وراء القصد، هو مولاي ونعم الوكيل ..... وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المبحث الأول
دراسة كيفية سقوط المطر

إنَّ المؤمن الحقّ يستبشر بالحقائق العلمية المكتشفة المؤيدة للقرآن الكريم، وإن لم يكن لها ذلك التأثير في درجة إيمانه، ولكن بحث هذه المسائل مهم جداً في التعريف بصدق القرآن الكريم في مقابل الشبهات التي يثيرها المبطلون، وما ورد من حقائق قرآنية تكون أكثر إقناعاً، وأقوى إفحاماً للخصوم إذا كانت مؤيَّدة بالحقائق العلمية، ولاسيما أن الخصوم من ملحدين أو مشككين يتذرعون بالعلم، أو ببعض النظريات العلمية، لذلك كان لهذه المكتشفات العلمية تأثيرها الإقناعي.ومن المناسب ذكره أن بعض المكتشفات الحديثة العلمية ليست قطعية، فهي عرضة للتجارب وخاضعة للتغيير في ضوء المعطيات والمكتشفات الأحدث منها، ومما يؤسف له أن المسلمين أخذوا دور المتلقي، فيما يتعلق بالحقائق العلمية المؤيدة لما جاء في الْقُرْآن الْكَرِيم، واكتفوا بهذا الدور السلبي، فصار إثبات هذه البينة أو تلك الحقيقة رهن بما يثبته الغرب ويكشفه لنا.والأحرى بنا أن نقيم مؤسسات علمية بحثية يشترك فيها علماء الدين مع غيرهم من علماء العلوم الأخرى للوقوف على الحقائق التي وردت في الْقُرْآن الْكَرِيم والسنة النبوية، والكشف عنها عوضاً عن انتظار ما يكشفه لنا

الغرب بسبب فتور همتنا، وقصور المؤسسات البحثية عندنا أو غيابها.ومن الشواهد على ذلك سقوط المطر وكيفيته، ومناقشة كيفيته في ضوء كتب التفسير التي تناولت تفسير الآيات المتعلقة بسقوط المطر.ومنها قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴾. وأشارت بعض كتب التفسير عند تفسير هذه الآية إلى أقوالٍ، بعضها غريب جداً أعرضت عنه، ولبعضها أصل في كتب الحديث، وبعض الأخبار روي بألفاظ كثيرة اقتصرت على أقدمها، وأصح ما قيل في تفسير الآية وفي كيفية سقوط المطر: **الأول:** روى عبد الرزاق عن وهب بن منبه، قال: «أربعة ملائكة يحملون العرش على أكتافهم لكل واحد منهم أربعة أوجه: وجه وجه ثور، ووجه وجه أسد، ووجه وجه نسر، ووجه وجه إنسان، ولكل واحد منهم أربعة أجنحة، أما جناحان فعلى وجهه من أن ينظر إلى العرش فيصعق، وأما جناحان فيهفو بهما ليس لهم كلام إلا أن يقولوا: قدسوا الله القوي ملأت عظمته السموات والأرضين»[١].وفي رواية: عن محمد بن مُسلم الطائفي، قال: بلغني أن البرق مَلَكٌ له أربعة أوجه، وجهُ إنسان، ووجه ثَور، ووجه نَسر، ووجه أسد، فإذا مَصَع بأجنحته فذلك البرق. وعن شُعيب الجَبَائي قال: في كتاب الله: الملائكة حَمَلة العرش، لكل مَلَك منهم وَجه إنسان وثور وأسد، فإذا حركوا أجنحتهم فهو البرق[٢].**الثاني:** إن الله ينشئ السحاب فينطق أحسن النطق ويضحك أحسن الضحك، فمنطقه الرَّعْد، وضحكه الْبَرْق[٣].وفي هذا قال الملا علي القاري: " وأما قول الفلاسفة أن الرعد صوت اصطكاك أجرام السحاب، والبرق ما يقدح من اصطكاكها، فهو من حزرهم وتخمينهم فلا يعول عليه "[٤].ولا يعني صحة سند الحديث أن تفسيره محمول على ظاهر الألفاظ، وإنما هو تعبير مجازي، كما هو الحال في قوله تعالى: ﴿ مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ ﴾[٥]، فالنطق «لمن عبر عن معنى، فهو مجاز»[٦] ويقال: «ضحكت النخلة: إذا أخرجت ضحكها، يعني الطلع»[٧].**الثالث:** البرق تصفيق ملك البرد، ولو ظهر لأهل الأرض لصعقوا[٨].**الرابع:** إن الرعد ملك من الملائكة الموكلة بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله، وأن صوت الرعد هو من زجره السحاب[٩].**الخامس:** الرعد ملك من الملائكة اسمه الرعد، وهو الذي نسمعه صوته، والبرق سوط من نور يزجر به الملك السحاب[١٠].**السادس:** إن ملكاً موكل بالسحاب يلم القاصية ويلحم الدانية في يده مخراق فإذا رفع برقت وإذا زجر رعدت وإذا ضرب صعقت[١١].**السابع:** إن الرعد ملك ينعق بالغيث كما ينعق الراعي بغنمه[١٢].**الثامن:** الرعد ملك اسمه الرعد وصوته هذا تسبيحه فإذا اشتد زجره احتك السحاب واصطدم من خوفه فتخرج الصواعق من بينه[١٣].**التاسع:** إذا سمعتم الرعد فاذكروا الله؛ فإنه لا يصيب

ذاكراً[١٤].واعترض محمد عبدة على هذه الروايات بقوله: «وقال مفسرنا الجلال السيوطي: إن الرعد ملك أو صوته، والبرق سوطه يسوق به السحاب، كأن الملك جسم مادي؛ لأن الصوت المسموع بالآذان من خصائص الأجسام، وكأن السحاب حمار بليد لا يسير إلا إذا زجر بالصراخ الشديد والضرب المتتابع، وما ذكرناه هو الذي كان يفهمه العرب من اللفظين، وهو الذي يفهمه الناس اليوم، ولا يجوز صرف الألفاظ عن معانيها الحقيقية إلا بدليل صحيح، ولا سيما إذا صرفت عن معان من عالم الشهادة الذي يعرفه الواضعون والمتكلمون إلى معان من عالم الغيب لا يعلمها إلا الله تعالى ومن أعلمهم الله تعالى إياها بالوحي، ولكن أكثر المفسرين ولعوا بحشو تفاسيرهم بالموضوعات التي نص المحدثون على كذبها، كما ولعوا بحشوها بالقصص والإسرائيليات التي تلقفوها من أفواه اليهود وألصقوها بالقرآن لتكون بيانا له وتفسيرا، وجعلوا ذلك ملحقا بالوحي، والحق الذي لا مرية فيه: أنه لا يجوز إلحاق شيء بالوحي غير ما تدل عليه ألفاظه وأساليبه، إلا ما ثبت بالوحي عن المعصوم الذي جاء به ثبوتا لا يخالطه الريب»[١٥].وعلق محمد رشيد رضا على ذلك بقوله: «ولا شك عندي في أن هذه الأقوال كلها مما كان يذيعه مثل كعب الأحبار ووهب بن منبه بين المسلمين من الصحابة والتابعين، ولو صح في حديث مرفوع بسماع صحيح لا يحتمل أن يكون من الإسرائيليات لما وقع فيه مثل هذا الخلاف، ولأمكن حمله على أن المراد به والإشارة إلى أن هذه المظاهر الكونية تقع بفعل ملك موكل بالسحاب، ولكن لا حاجة إلى ذلك مع عدم صحة شيء في المسألة، والملائكة من عالم الغيب، وهم لا يراهم الناس إلا إذا تمثلوا لنبي أو ولي على سبيل المعجزة أو الإرهاص، كتمثل الروح للسيدة مريم عليها السلام، ورؤية الصحابة لجبريل في حضرة النبي ﷺ بصورة رجل يسأل عن الإيمان والإسلام والإحسان، والبرق من عالم الشهادة لا من عالم الغيب»[١٦].وقال الألوسي: «للناس في الرعد والبرق أقوال، والذي عول عليه أن الأول صوت زجر الملك الموكل بالسحاب، والثاني لمعان مخاريقه التي هي من نار، والذي اشتهر عند الحكماء: أن الشمس إذا أشرقت على الأرض اليابسة حللت منها أجزاء نارية يخالطها أجزاء أرضية، فيركب منهما دخان، ويختلط بالبخار، وهو الحادث بسبب الحرارة السماوية، إذا أثرت في البلة، ويتصاعدان معاً إلى الطبقة الباردة، وينعقد ثمة سحاب، ويحتقن الدخان فيه ويطلب الصعود إن بقي على طبعه الحار، والنزول إن ثقل وبرد، وكيف كان يمزق السحاب بعنفه فيحدث منه الرعد، وقد تشتعل منه– لشدة حركته ومحاكته– نار لامعة وهي البرق إن لطفت والصاعقة إن غلظت، وربما كان البرق سببا للرعد فإن الدخان المشتعل ينطفئ في السحاب فيسمع لانطفائه صوت، كما إذا أطفأنا النار بين أيدينا، والرعد والبرق يكونان معاً، إلا أن البرق

يرى في الحال لأن الإبصار لا يحتاج إلا إلى المحاذاة من غير حجاب، والرعد يسمع بعد؛ لأن السماع إنما يحصل بوصول تموج الهواء إلى القوة السامعة وذلك يستدعي زماناً، كذا قالوه»[١٧].لا شك أن بعض هذه المعلومات غريب يثير الدهشة، وقد صار سبب سقوط المطر معلوماً لطلبة المدارس الابتدائية اليوم، وعرفوا ما كان لغزاً محيراً لجهابذ العلماء، فكيف نسوغ للناس في هذا الزمن قبول مثل هذه الروايات في تفسير سبب سقوط المطر؟ إن رفض مثل هذه الأقوال ليس فيه طعناً بعلمائنا الكرام، فهم فعلوا ما في وسعهم وعلى وفق ما تيسر لهم من معلومات، وأن أغلب ما روي ضعيف السند، وإن جرى قبول سند بعضها، فهي آثار موقوفة على صحابي تعارضه أخبار أخرى، فلا حجة فيها، وعلى افتراض صحتها، فيمكن حملها على المعنى المجازي، لا المعنى اللغوي. وإن عدّ مثل هذه الأقوال من قبيل الثوابت القرآنية أمر غير مستقيم، فهي تعارض الحقائق العلمية، أو لوقوع التعارض بينها، ولضعف سند غالبية هذه الأخبار.

المبحث الثاني
دراسة كيفية سقوط البرد

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴾[١٨].

ذهب المفسرون إلى الله سبحانه وتعالى يسوق السحاب بأمره إلى حيث يشاء من أرضه وبلاده، ثمَّ يُؤلف بيَّنه بأن يجمع بين قطع السحاب المتفرقة بعضها إلى بعض، ثمَّ يجعله ركاماً، أي: متراكماً بعضه فوق بعض[١٩].وفي الودق قولان: الأول: أن الودق هو المطر يَخْرُج من خلال السحاب، من وسطه، وهو قول راجح عند أهل التفسير[٢٠]الثاني: أن الودق هو البرق يَخْرُج من خلال السحاب[٢١].والراجح أن الودق هو المَطَر عند أهل اللغة، يقال: ووَدَقَت السماءُ وَدْقاً وأَوْدَقت[٢٢].أما المراد بالجبل في الآية، فقد اختلف فيه المفسرون على ثلاثة أقوال:أحدها: أن في السماء جبال برد فينزل من تلك الجبال ما يشاء فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء[٢٣]. الثاني: أنه ينزل من السماء برداً يكون كالجبال[٢٤]. الثالث: أن السماء السحاب، سمّاه لعلوه، والجبال صفة السحاب أيضاً سمي جبالاً لعِظمه فينزل منه برداً يصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء فتكون إصابته نقمة وصرفه نعمة[٢٥].أما العلم الحديث "فإن العلماء الذين يدرسون الغيوم توصلوا إلى نتائج مفاجئة بالنسبة لتكون الغيوم الممطرة، التي تتكون، وتتشكل وفق نظام ومراحل محددة"[٢٦].

إذ يبدأ السحاب الركامي، وهو عبارة عن قزح قطعة هنا، وقطعة هناك، ثمَّ يأتي هواء خفيف فيدفع هذه السُحب شيئاً فشيئاً ثمَّ يُؤلف بيَّنهوالسحاب الركامي يتكون حين تجتمع سحابتان، أو سحابة تنمو بسرعة[٢٧]، وهي مرحلة يتراكم فيها السحاب بعضه مع بعض، فإذا كان السحاب المتجاذب بعضه فوق بعض أنشئ الركام، والتيار الهوائي الصاعد من الغيمة الكبيرة يزداد، فالتيار الهوائي قرب مركز الغيمة يكون أقوى من التيارات التي تكون على أطرافها[٢٨].وهذه التيارات تجعل الغيمة تنمو رأسياً عمودياً بارتفاع (١٥ كم-٢٠ كم)، فتصل إلى طبقات الجو الباردة جداً، حيث تنخفض فيها درجة الحرارة إلى (٦٠ - ٧٠) درجة مئوية تحت الصفر، وهي تشبه الجبال في شكلها، عندها يتكون البرد في أعالي السُحب[٢٩]. وتلك الظاهرة غريبة حيث تتردد بلورات الماء بين منطقتين، ثلجية يخرج منها البرد، ومنطقة سفلية يخرج منها الودق[٣٠].وكما هو ملاحظ، فإن التفسير العلمي لنزول البرد لا يتعارض مع أقوال المفسرين، وعلى وجه الخصوص القول الثالث، الذي ذهب إلى أن السحاب لعظمه يسمى جبالاً، في إشارة إلى تراكمه وارتفاعه، أما القول الأول، فإن كان القصد منه أن هناك جبال من برد دائمة متسمرة، فهو غير صحيح، وإن كان القصد عظم حجمها، فهو يوافق القول الثالث.وما جاء في العلم الحديث أمر مشاهد وليس تخميناً لكي نأخذ موقفاً حذراً من رفضه أو قبوله.

المبحث الثالث
دراسة كيفية سوق السحاب

قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾[٣١].

قيل في تفسيرها: إن الله سبحانه وتعالى يأمر الرياح لتثير السحاب بأن تنشره وتبسطه في السماء كيف يشاء مسيرة يوماً، أو يومين، ثمَّ يجعله كسفاً، أي: قطعاً متفرقة، ليخرج الودق من خلاله، أي: من بين أجزائه[٣٢].وهذا يؤكد القول بأن معنى الودق هو المطر في المبحث السابق.وتبين الآية الشريفة أن الهواء اللطيف الذي يَشُقه الودْق يُصَيَّر ليقلع الشجر، وهو ليس بذاته، فهو فعل فاعل مختار، وأما الحكمة ففي نفس الهبوب فيما يُفضي إليه إثارة السُحب[٣٣].بيَّن القرآن الكريم مراحل تكَّون السُحب، وهي تبدأ بما يعرف بالبساطية، وهي السحب الطبقية، وهي سحب منخفضة، قريبة من سطح الأرض، من أهمها السحب الطبقية المتقطعة[٣٤].فالسحب تتكون من تجمعات ترتفع إلى أعالي طبقة التروبوسفير، وهي الطبقة التي تحدث معظم التغيرات الجوية التي نلمسها يومياً، وتقل فيها

درجات الحرارة مع الارتفاع، وهي الطبقة التي تحتوي على معظم بخار الماء والأكسجين وثاني أكسيد الكربون وتتركز فيها أنشطة الإنسان[٣٥]، وتقع على ارتفاع نحو (١٠ كم-٢٠ كم) من سطح الأرض، وهي الطبقة السفلى من طبقات الغلاف الجوي المحيط بالأرض[٣٦].وتتكون تلك السُحب من ذرات صغيرة جداً من الماء، متجمعة حول ذرات ملحية، أو ذرات كونية يبلغ قطرها (٠،٠١ ملم- ٠،٠٢ ملم)، وتنتشر في أرجاء السماء، وتغطي السماء بالغيوم[٣٧].إنَّ جزيئات المياه التي تحيط ببلورات الملح، وجزيئات الغبار تتكاثف لتكون قطرات المطر، وهو ما أشار إليه الرازي في حديثه: «قال أهل الطبائع إنَّ تكَّون السحاب والمطر والثلج والبرد، والطل والصقيع في أكثر الأمر من تكاثف البخار، وفي الأقل من تكاثف الهواء»[٣٨].وبهذا فإن المطر الذي يصبح أثقل من الهواء، يخرج من الغيوم، ويبدأ بالهطول على الأرض[٣٩].ومن الناحية العلمية فالثلج والبرد يحصل عند تساقط قطرات المطر على شكل بلورات ثلجية إذا كانت درجة الحرارة في طبقات الجو العليا أقل من درجة الصفر المئوي[٤٠].أما الطل والصقيع، فيحدث نتيجة تكاثف بخار الماء فوق سطح الأرض على شكل ندى إذا كانت درجة الحرارة أكبر من درجة الصفر المئوي، أو على شكل صقيع إذا كانت درجة الحرارة أقل من الصفر المئوي[٤١].وهذا النوع من السُحب لا ينمو بالاتجاه الرأسي كالسُحب الرُكامية، بل بالاتجاه البساطي فلا برد إذاً، ولا برق، بل ودق وديمة، وهذا ما يلحظ في السياق القرآني إذ فرق بين السُحب الرُكامية، والسُحب البساطية[٤٢].

الخاتمة

الحمد لله حق حمده، والصلاة والسلام على خير خلقه، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.

أولاً: النتائج:حفلت كتب التفسير بأخبار شتى بعضها موضوع، وبعضها شديد الضعف، أو هو من الإسرائيليات التي حذر منها العلماء، أو أنها من أقوال أفراد لا دليل على صحتها، أو أنها تتعارض مع بعضها أو تتعارض مع الحقائق العلمية الثابتة، لذلك لا يمكن عد هذه الآراء من الثوابت القرآنية بأي حال من الأحوال.إن الثابت القرآني هو الذي ورد بنصوص قطعية غير محتملة للتأويل، ويوافق المعطيات العلمية والحقائق التي لا تقبل الشك. لقد تناول البحث عدة شواهد في بعضها مخالفة أقوال بعض المفسرين للحقائق العلمية، وفي بعضها شاهداً على موافقة هذه الأقوال للحقائق العملية، إي إن ما ورد في كتب التفسير قد يكون من الثوابت أو لا يكون.

ثانياً: التوصيات:

إن القرآن الكريم زاخر بالمعطيات والحقائق التي تهاونا نحن المسلمين عن

اكتشافها، وصرنا نتصيد ما يكشفه علماء الغرب لنتفاخر بأن القرآن كشف هذه الحقائق قبل ١٤ قرناً، ولا أعلم ما الذي يدفع الباحث الأوربي أو الأجنبي لمعايشة عالم النمل لسنوات طوال غير الوازع العلمي، في حين يمتلك الباحث المسلم وازعاً مضافاً، وهو أن القرآن الكريم ذكر هذه الحقائق، وأن ذكره إياها لم يكن عن عبث، ولاسيما أن بعض المكتشفات العلمية مثل الاطلاع على سلوك النمل ليس بحاجة إلى إمكانات متطورة جداً، فتكفي فيه المراقبة، كما راقب أسلافنا النمل وعلموا أنه يقسم حبة الكزبرة على أربعة أقسام.إن الواجب عدم التسرع في بيان موافقة هذه الاكتشافات مع القرآن الكريم من عدمها ما لم تثب صحة هذه النظريات.ختاماً اسأل الله تعالى أن يوفقنا للعمل بكتابه، وأن يوفقنا لخدمته إنه سميع مجيب الدعاء.

هوامش البحث

(١) تفسير عبد الرزاق، ٣٤٢/٣. والخبر من الإسرائيليات من رواية وهب بن منبه.

(٢) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٣٤٣/١؛ بحر العلوم ١٦٩/١.

(٣) ينظر: غريب القرآن ٢٣٨؛ بحر الفوائد ١٩٧؛ مفاتيح الغيب ٢٢/١٩.

(٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ١١١٩/٢.

(٥) سورة النمل: من الآية ١٦.

(٦) مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، ٧٢٧/٤.

(٧) المنجد في اللغة،مادة (ضحك) ٢٤٥.

(٨) ينظر: تفسير القرآن العظيم٥٦/١؛ العظمة، ١٢٨٦/٤؛ الدر المنثور٦٢٠/٤. ٢٦٩.

(٩) ينظر: تفسير مقاتل ٦٠١/٣؛ تفسير ابن أبي حاتم: ٥٥/١؛ الكشف والبيان٢٧٩/٥.

(١٠) ينظر: الدر المنثور:٦٢٢/٤.

(١١) ينظر: المصدر نفسه:٦٢٠/٤؛ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية: ٩٢/٣

(١٢) ينظر: الأدب المفرد، ٣٨٠؛ جامع البيان: ٣٤١/١؛ الهداية إلى بلوغ النهاية٣٧٠١/٥.

(١٣) ينظر: تفسير مقاتل: ٦٠١/٣؛ غريب القرآن للسجستاني: ٢٣٨؛ الدر المنثور:٦٢٢/٤.

(١٤) ينظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ٩٥/١؛ تفسير القرآن العظيم: ٤٤٢/٤

(١٥) تفسير المنار (تفسير القرآن الحكيم من أقوال محمد عبدة)، ١٤٦/١.

(١٦) تفسير المنار: ١٤٧/١.

(١٧) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،١٧٤/١-١٧٥.

(١٨) سورة النور: الآية ٤٣.

(١٩) ينظر: الكشف والبيان: ١١٢/٧؛ لباب التأويل في معاني التنزيل، ٨٣/٥.

(٢٠) ينظر: بحر العلوم: ٥١٧/٢؛ معالم التنزيل، ٥٤/٦.

(٢١) ينظر: النكت والعيون، ١١٣/٤؛ سرور النفس بمدارك الحواس الخمس٢٦٩/١.

(٢٢) ينظر: المخصص، ٣٥٥/٤.

(٢٣) ينظر: النكت والعيون: ١٧١/٤؛ سرور النفس: ٢٦٩/١.

(٢٤) ينظر: المصدر نفسه: ١٧١/٤؛ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٢٣٣/٤؛

(٢٥) ينظر: بحر العلوم: ٥١٧/٢؛ النكت والعيون: ١٧١/٤؛ معالم التنزيل: ٥٤/٦.

(٢٦) المعجزات القرآنية، هارون يحيى، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، ٢٠٠٤م: ٤٢.

(٢٧) ينظر: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة: ٢٦٣

(٢٨) ينظر: المعجزات القرآنية: ٤٢.

(٢٩) ينظر: الله والكون٣٥٦.

(٣٠) ينظر: نظرات في القرآن الكريم، ١٣٦.

(٣١) سورة الروم: الآية ٤٨.

(٣٢) ينظر: لباب التأويل: ٢١١/٥؛ اللباب في علوم الكتاب،: ٤٢٣/٥.

(٣٣) ينظر: مفاتيح الغيب: ١١٧/٢٥؛ البحر المحيط: ٤٢٥/٦ – ١٧٣/٧.

(٣٤) ينظر: أسس الجغرافية الطبيعية: ٣٥٦.

(٣٥) ينظر: الجغرافيا الطبيعية،: ٣٩.

(٣٦) ينظر: الإعجاز العلمي في أسرار القرآن الكريم والسنة النبوية١٦٨/٧.

(٣٧) ينظر: موسوعة الإعجاز العلمي ٢٦٥/١؛ المعجزات القرآنية: ٤١.

(٣٨) مفاتيح الغيب: ٤٠٤/٢٤.

(٣٩) ينظر: المعجزات القرآنية: ٤١.

(٤٠) ينظر: أسس الجغرافية الطبيعية: ٣٦٢.

(٤١) ينظر: أسس الجغرافية الطبيعية: ٣٦٤.

(٤٢) ينظر: الماء في القرآن الكريم،١٧٠.

المصادر والمراجع

١. الأدب المفرد، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (ت٢٥٦هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط٣، ١٤٠٩هـ /١٩٨٩م.

٢. أسس الجغرافية الطبيعية، د. فتحي عبد العزيز أبو راضي، دار النهضة العربية، بيروت، ٢٠٠١م.
٣. الإعجاز العلمي في أسرار القرآن الكريم والسنة النبوية، محمد حسني يوسف، دار الكتاب العربي، دمشق– القاهرة، ٢٠٠٦م.
٤. بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت٣٧٥هـ)، تحقيق: الدكتور محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت، بلا تاريخ.
٥. بحر الفوائد المسمى بمعاني الأخبار للكلاباذي، محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري الحنفي (ت٣٨٠هـ)، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، وأحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
٦. البحر المحيط، أبو عبد الله أثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي، الشهير بابن حيان وبأبي حيان (ت٧٥٤هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.
٧. التاريخ الكبير، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري الجعفي (ت٢٥٦هـ)، تحقيق: السيد هاشم الندوي، دار الفكر للطباعة والنشر، بلا تاريخ.
٨. تفسير القرآن العظيم مسندًا عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن أبي حاتم الرازي. (ت٣٢٧هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، السعودية، ط٣، ١٤١٩هـ.
٩. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر كثير القرشي الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
١٠. تفسير المنار (تفسير القرآن الحكيم من أقوال محمد عبدة)، جمعه محمد رشيد علي رضا القلموني الحسيني (ت١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.
١١. تفسير عبد الرزاق، عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت٢١١هـ)، دراسة وتحقيق الدكتور محمود محمد عبدة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.
١٢. تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي المتوفى سنة (١٥٠هـ)، تحقيق: أحمد فريد، دار الكتب العلمية لبنان، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
١٣. تقريب التهذيب، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي (ت٨٥٢هـ)، تحقيق محمد عوامة، دار الرشيد، سوريا، ١٤٠٦هـ –١٩٨٦م.

١٤. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد بن كثير بن غالب الآملي الطبري (ت٣١٠هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر وأحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، مصر، ١٤٢٠هـ /٢٠٠٠م.

١٥. الجامع الكبير، سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي السلمي (ت٢٧٩هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

١٦. الجغرافيا الطبيعية، ربى سليمان الحداد، دار الإعصار العلمي، عمان- الأردن، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

١٧. الدر المنثور، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٣م.

١٨. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي (ت١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.

١٩. سرور النفس بمدارك الحواس الخمس، أبو العباس أحمد بن يوسف التيفاشي (ت٦٥١هـ)، هذبه ابن منظور محمد بن جلال الدين المكرم (ت٧١١هـ)، تحقيق: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٠م.

٢٠. العظمة، أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان المعروف بأبي الشيخ الأصبهاني (ت٣٦٩هـ)، تحقيق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، دار العاصمة، الرياض، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.

٢١. غريب القرآن المسمى نزهة القلوب، أبو بكر محمد بن عزيز السجستاني العزيزي (ت٢٣٠هـ)، تحقيق محمد أديب عبد الواحد جمران، دار قتيبة، سوريا، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

٢٢. فتح البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب صديق بن حسن بن علي الحسين القنوجي البخاري (ت١٣٠٧هـ)، عني بطبعته وقدم له وراجعه عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا- بيروت، ١٤١٢هـ /١٩٩٢م.

٢٣. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دمشق، دار الكلم الطيب، بيروت، ١٤١٤هـ.

٢٤. الكشف والبيان، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري (ت٤٢٧هـ)، تحقيق أبي محمد عاشور، مراجعة وتدقيق نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

٢٥. لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الصوفي المعروف بالخازن (ت٧٤١هـ)، تصحيح محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.

٢٦. اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي (ت٨٨٠هـ)، تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، شارك في تحقيقه الدكتور محمد سعد رمضان حسن، ود. محمد المتولي الدسوقي الحرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

٢٧. الله والكون، د. محمد جمال الدين الفندي، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٧٦م.

٢٨. الماء في القرآن الكريم، غالب محمد رجا، دار الزمان، المدينة المنورة- السعودية، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٢٩. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت٨٠٧هـ)، تحقيق حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤هـ /١٩٩٤م.

٣٠. مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، جمال الدين محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفَتَّنِي الكجراتي (ت٩٨٦هـ)، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ط٣، ١٣٨٧هـ /١٩٦٧م.

٣١. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن عطية الغرناطي الأندلسي (ت٥٤١هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

٣٢. المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل الضرير النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده (ت٤٥٨هـ)، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

٣٣. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، نور الدين علي بن سلطان محمد الهروي المعروف بملا علي القاري (ت١٠١٤هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٢هـ /٢٠٠٢م.

٣٤. مسند أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني (ت٢٤١هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرين، إشراف د عبد الله عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

٣٥. معالم التنزيل، محيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي (ت٥١٦هـ)، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ.

٣٦. المعجزات القرآنية، هارون يحيى، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، ٢٠٠٤م.

٣٧. المعجم الكبير، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني (ت٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م.
٣٨. مفاتيح الغيب، أبو عبد الله فخر الدين محمد بن عمر بن حسين القرشي الطبرستاني الرازي (ت٦٠٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
٣٩. المنجد في اللغة، أبو الحسن علي بن الحسن الهنائي الأزدي الملقب بكراع النمل (توفي بعد ٣٠٩هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد مختار عمر، والدكتور ضاحي عبد الباقي، عالم الكتب، القاهرة، ط٢، ١٩٨٨م.
٤٠. موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة، يوسف الحاج أحمد، مكتبة ابن حجر، دمشق، ط ٢، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
٤١. موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة، يوسف الحاج أحمد، مكتبة ابن حجر، دمشق، ط ٢، ١٤٢٤ هـ/٢٠٠٣ م.
٤٢. الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية، د. أحمد مصطفى متولي، دار ابن الجوزي، القاهرة، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
٤٣. نظرات في القرآن الكريم، محمد الغزالي (ت ١٤١٩ هـ)، دار نهضة، مصر، ط ٢، بلا تاريخ.
٤٤. النكت والعيون، أبو الحسن علي بن حبيب البصري الماوردي (ت٤٥٠هـ)، تحقيق: سيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م.
٤٥. الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، أبو محمد مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار القيسي المالكي (ت٤٣٧هـ)، تحقيق طلبة كلية الدراسات العليا والبحث العلمي- كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.
٤٦. الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي (ت٤٦٨هـ)، تحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وآخرين دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م.